﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

[الغاشية: 8 - 16]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

حكايةُ حالِ أهلِ الجنَّةِ بعد حالِ أهلِ النّارِ يزيدُ المَحكيَّ حُسنًا وبهجةً

لمّا ذكر الله تعالى حالَ وجوه أهل النّار؛ أتبعه بذِكْر حالِ وجوه أهل الجنَّة ليبيّن الفرق بينهما، فقال مستأنفًا ذِكرَ ما لهم مِن ضدِّ ما ذَكَرَ لأهلِ النّارِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ولمّا ذكر أنَّ هذه الوجوه ذاتُ بهجة وسرور بما يظهر عليها من أثر النعمة والنضرة والراحة والرفاهية بضدِّ تلك الناصبة، ذَكَرَ أنَّ هؤلاء أتعبوا أنفُسَهم في دار العمل الدنيا؛ فهي راضيةٌ عن عملِها الذي سعت فيه للآخرة فقال: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾، ولمّا ذكر السَّعي أتبعه ثوابه، أو لمّا ذَكَر وصْفَ أهلِ الثَّوابِ أوَّلًا وصَف دارَ الثَّوابِ ثانيًا[1] فقال: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، ولمّا كان ما يقع من مثل هذا منه ما لا يصفو، وفيه ما يكره من الكلام قال مُنزّهًا لها عن كل سوء: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ ولمّا وصف الجنة بأول ما يعتبر فيها وهو عدم المُنغِّص، أتبعه ما يطلب بعده وهو تناول الملتذّات، وكان الأكل قد فهم من ذِكْر لفظ (جنَّة)، فذكر المشروب لذلك، ولدلالته إذا كان جاريًا على زيادة حُسن الجنة وكثرة ما فيها من النباتات والأشجار والري والأطيار، فقال: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، ولمّا لم يبق بعد الأكل والشرب إلا الاتِّكاء، قال مُفهمًا أنَّهم ملوك: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾، ولمّا كان المستريح يحتاج إلى تكرار الشرب وما يشرب فيه قال: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾، ولمّا كان مَن هو بهذه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 141.

المثابة يحتاج إلى المُساند والفرش الزائدة قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾، ولمّا ذكر المساند ناسب ذِكْر البسط الكثيرة للدّلالة على موضع استراحتِهم وتصوير ما لهم في تلك الدّار فقال: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿نَّاعِمَةٌ﴾: (نعم) أصلٌ يدُلُّ على رقّةِ الشَّيءِ أو ليونته وخلوُّه من الغِلَظ والخشونة. والنِّعمة الحالةُ الحسنةُ[2]، ونَعَّمَهُ تنعيمًا: جعله في نِعْمَةٍ ولينِ عَيْش، وامرأةٌ ناعمةٌ من النّعومة؛ أيْ: حسنة العيشِ والغذاءِ مُترفةٌ[3]. وثوبٌ ناعمٌ: ليِّنٌ رقيقٌ[4]. و﴿نَّاعِمَةٌ﴾ إمّا من النّعومة؛ والمعنى أنّها غضَّةٌ نضرةٌ في نعمةٍ وكرامةٍ[5] أو من النِّعمة؛ والمعنى: مُتنعِّمة بأنواعِ النّعم. فيدلُّ اللفظُ على الترفُّه وطيبِ العيشِ وصلاحِ الحالِ.

2) ﴿لِّسَعْيِهَا﴾: السَّعْيُ: المَشي السّريع، وهو دون العَدْوِ؛ أيْ: دون الشَّدِّ في المشي، ويستعملُ للجدِّ في الأمرِ، خيرًا كان أو شرًّا، وأصلُ السَّعْيِ في كَلامِ العَرَبِ التصرُّف في كُلِّ عَمَلٍ[6]. ويُطلَقُ السّعيُ على العمل والجَهْدِ من أجل تحقيق شيءٍ وتحصيلِه[7]. وأكثَرُ ما يُستعمَلُ في الأفعالِ المحمودةِ، و﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الآية بمعنى لجدِّها واجتهادِها في عملِها الدُّنيويّ.

3) ﴿رَاضِيَةٌ﴾: الرّضى خلاف السّخط، أصله: (رضي) يدُلُّ على تشبُّع النَّفس وامتلائها بَلالًا ورقَّةً نحو شيءٍ[8]؛ يُقال: رَضيَ يَرضى رِضًا وهو راضٍ، ومفعوله مَرْضيٌّ عَنْهُ[9]. ويُقال: رَضيتُ به وعنه وعليه[10]؛ أي: اختاره وقَبِلَه[11]. والرّاضي عن الشّيء مُحِبٌّ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 22/ 10 - 12.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (نعم).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نعم).
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 23/ 467.
(6) ابن منظور، لسان العرب: (سعى).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سعى).
(8) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رضى).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (رضي).
(11) مجمع اللّغة في القاهرة، المعجم الوسيط، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رضي).

له قابلٌ به مُقبلٌ عليه. ورِضا العبد عن اللّه: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورِضا اللّه عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا لأمره، ومنتهيًا عن نهيه[1]. وقوله في الآية: ﴿رَاضِيَةٌ﴾ إذْ وجدَت ثوابَ عملِه مُدَّخرًا مُضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كلُّ ما تتمناه[2].

4) ﴿لَغِيَةَ﴾: (لغو) أصلٌ يدُلُّ على الشَّيءِ لا يُعتَدُّ به[3]، يُقال: لَغا يَلْغو لَغْوًا. وأصله الكلام الذي يورد لا عن رَويَّةٍ وفكرٍ، فيجري مجرى اللَّغا الذي هو صوت العصافير ونحوها من الطّيور، وقد يُسمَّى كلُّ كلامٍ قبيحٍ لغوًا[4]. كما يُطلقُ اللّغو على ما لا يُعتَدُّ به من الكلام، ومعنى ﴿لَغِيَةَ﴾: اللّغو أو الباطل من القول، وهو الكلام الساقط غير المرضيِّ[5]، أو هو كلُّ كلام لا فائدة منه ولا نفع[6].

5) ﴿جَارِيَةٌ﴾: (جري) أصلٌ يدُلُّ على انتقالٍ بحركةٍ خفيفةٍ سريعةٍ مسترسلةٍ متّصلةٍ، والجريُ انسياحُ الشّيءِ ومروره بخفَّةٍ وسرعة مثل مرِّ الماءِ وما يجري بجريه كجري الفلك والشَّمسِ والرّيح. يُقالُ: جَرَى الماءُ يجري جَرْيةً وجَرْيًا وجريانًا[7]. و﴿عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾؛ أيْ: تتدفَّقُ مياهُها، تجري حيث أراد أهلُها، لا تحتاج إلى حَفْر ساقيةٍ ولا إقامةِ أُخدود[8].

6) ﴿سُرُرٌ﴾: (سرر) أصلٌ يدلُّ على مَحْضِ الشَّيْءِ وخالصهِ ومُسْتَقَرِّهِ، ومنه السّرور؛ لأنَّه أمْرٌ خالٍ من الحُزْنِ. ومنه كذلك السّرير، لِما فيه من الاستقرار[9]، أو لأنَّه من السّرور؛ فالسَّريرُ: الذي يُجلس عليه من السّرور والفرح، إذ كان ذلك لأولي النّعمة[10]. وجمْعُ سرير: سُرُرٌ وأسِرَّةٌ، وهو ما يُجلس أو ينام عليه، ويُتَّخذ مِنْ خَشَبٍ أو حديدٍ لهُ قَوائِمُ ليكونَ مُرتفعًا عن الأرض[11].

7) ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: جمعُ كوبٍ، وهو القدح المستدير الرأس الذي لا عُرْوةَ له، وهو من آنية

(1) الراغب، المُفردات: (رضي).
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 921.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لغو).
(4) الراغب، المُفردات: (لغا).
(5) الكرماني، لباب التفاسير، ص: 3585.
(6) أبو حفص النّسفي، التيسير في التفسير: 15/ 322، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لغو).
(7) الراغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جرى).
(8) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص: 175.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرر).
(10) الراغب، المُفردات: (سرر).
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 302.

الشّراب. ويكون دقيق العنق عظيم الرأس[1]. وقيل: هو إناءٌ لا عُرْوةَ له[2]، وقيل: هو الَّذي لا خُرطومَ له، فإذا كان لها خُرطومٌ فهو إبريقٌ[3].

8) ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: الوضعُ أعمّ من الحطّ، و(وضع) أصلٌ يدُلُّ على الهويِّ بالشَّيءِ إلى مقرٍّ منخفضٍ يثبت فيه؛ يُقال: وضَعتِ الحملَ فهو مَوْضوعٌ[4]. ووَضَعَ الشيءَ في المكان: أثْبتَه فيه، وأهواه إلى موضعٍ يكون في المتناول[5]. ووضعُ الشّيء: إعدادُه وتهيئته لِما قصد منه. ومعنى ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: مُعدَّةٌ ومُهيَّأةٌ للشّرابِ[6]، كُلَّما أرادوها وجدوها موضوعةً بين أيديهم عتيدةً حاضرةً لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها[7].

9) ﴿وَنَمَارِقُ﴾: جمع نُمْرُقةٌ ونِمْرِقةٌ[8]، وهي وسائدُ يُتّكأُ عليها[9]، أو هي الميثَرَة، وهي ما افترَشَت استُ الرّاكب على الرَّحل، كالمرفقة، غير أنّ مؤخرها أعظم من مقدمها، ولها أربعة سيور تُشَدَّ بآخرة الرَّحل، وقد يُطلق على الطنفسة التي فوق نمرق الرَّحل[10]. فدلّت الكلمة بمعناها العامِّ على كيسٍ يضمُّ ويمسك في جوفه أشياء هي حَشو النمرقة. و﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: الوسائد.

10) ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: (صفف) أصلٌ يدُلُّ على معنى استواءٍ في شيءٍ وتساوٍ بين شيئَيْن أو أكثر في المقرِّ[11]، والصفُّ باعتبار كونِه مصدرًا هو جعلُ الشيء على خطٍّ مستوٍ، كما يُطلقُ الصفُّ باعتبار كونِه اسمًا على السَطْر المستوي من كلِّ شيء. ومنه الفعل: صَفَفْت القوم؛ أيْ: أقمتهم في الحرب صفًّا مستويًا[12]. و﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ في الآية بمعنى أنَّ الأكوابَ قد صُفَّت بعضُها بجنْبِ بعضٍ[13].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات: (كوب).
(2) الراغب، المُفردات: (كوب).
(3) الهروي، الغريبين في القرآن والحديث: (كوب).
(4) الراغب، المُفردات: (وضع).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وضع).
(6) أبو حفص النّسَفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 323.
(7) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 731.
(8) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 324.
(9) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 245.
(10) ابن منظور، لسان العرب: (نمرق).
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صفف).
(12) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صفف).
(13) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 245.

11) ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: واحدها: زِربيٌّ وزَربيَّة؛ وهو البِساط، وأصلُه: (زرب) دالٌّ على مَكْمنٍ ضيِّقٍ يحتبس فيه الشَّيء أو يتخزَّن ليُحْفَظ؛ من ذلك الزَّرب - بالفتح - والزَريبة: بئرٌ يحتفرها الصائد يكمن فيها للصَّيد، والزِرْب - بالكسر - : موضع الغنم، ومسيلُ الماء، والزريبة: مُكْتَنّ السَّبُع، ومن ذلك أيضًا الزَّرابيّ: الوسائد تُبسط للجلوس عليها، كأنَّها حُشيت بالقطن أو نحوه فحُبِس فيها[1].

﴿وَزَرَابِيُّ﴾: بمعنى بسُط فاخرة.

12) ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مَبسوطةٌ مُتفَرِّقةٌ؛ وأصلُ (بثث): تفريقُ الشَّيءِ ونَشْرُ ما كان مجتمعًا منضمًّا؛ من ذلك تمرٌ بثٌّ: منثورٌ متفرِّقٌ ليس في جرابٍ ولا وعاءٍ؛ وبثَّ الخيلَ في الغارة، وبَثَّ الصيادُ كلابه، وبثّ الخبرَ وأبثَّه فانْبثّ: فرّقه فتفرَّق؛ وانبثَّ الجرادُ في الأرض: انتشر؛ والبَثّ: الحزن والغمُّ والمرض الشديد المجتمع في النفس الذي يضطرُّ صاحبه مِن شدَّته إلى أن يُفْضي به إلى أصحابه؛ ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؛ أيْ: كثيرةٌ منتشرةٌ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـــرفُ أهـــلِ الجنَّة عظيمٌ لا يـوصـفُ؛ ولكنَّ الأرواح ترتاح بـمـألـوفـاتِـهـا فتُعطاها

يقولُ تعالى مبيِّنًا حالَ أهلِ الجنَّةِ من المؤمنينَ وما هم فيه من النَّعيم: وتكونُ وُجوهُ المُؤمنينَ يَومَ القيامةِ ذات نضرةٍ وبهجةٍ وسرورٍ، فهي مُتنعّمةٌ بأنواعِ النِّعم، راضينَ عمّا عَملوه في الدُّنيا من أعمالٍ صالحةٍ، وراضين بجزاء ما عملوه حين وجدوا الثّوابَ العظيم في الآخرةِ، وهم في جنَّةٍ مرتفعةٍ، لا يَسمعونَ فيها ما لا فائدةَ فيه من الكَلام. ثمَّ يُبيِّنُ اللّه تعالى بعضَ أوصافِ الجنَّةِ، فيقولُ: في تلك الجَنَّةِ العاليةِ عَينٌ جاريةٌ من غَيرِ أُخدودٍ، وفي تلك الجَنَّةِ أسِرَّةٌ عاليةٌ مُرتَفِعةٌ، وأكوابٌ مَوضوعةٌ بيْن أيديهم كلَّما أرادوا الشّرب وجدوها

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زرب).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بثث).

بين أيديهم، ووَسائِدُ مُرَتَّبةٌ ومَصفوفةٌ بَعضُها بجانبِ بعضٍ، وبسُطٌ فاخِرةٌ مُنتَشِرةٌ مبسوطة في المجالس[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ والاستئنافِ البيانيِّ في الآيةِ:

تباينُ حالِ أهلِ النّـار وحـالِ أهـل الجنَّـة في الوصف والحال والمكان

قد يُقال إنَّ من حقِّ جملة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أنْ تكون معطوفةً بالواو على جملة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾؛ لأنَّها مشاركة لها في حكم البيان لحديث الغاشية. ووجه الفصل هو التّنبيه على أنَّ المقصود من الاستفهام في ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ﴾ الإعلامُ بحالِ المعرَّض بتهديدهم، وهم أصحاب النّار أصحابُ الوجوه الخاشعة، فلمّا حصل البيان بوصف حال أصحاب الوجوه الخاشعة تمَّ المقصود، فجاءت جملة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ على الفصل لتكون استئنافًا بيانيًّا جوابًا على سؤالٍ مقدَّر تثيره الجملة السّابقة، فيَتَساءَلُ السّامِعُ: هل من حديثِ الغاشيةِ ما هو مُغايرٌ لهذا الهولِ؟ أيْ: ما هو أُنْسٌ ونعيمٌ لقوم آخرينَ. فأُجيب بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[2]، وفي الفصل إشعارٌ بتباين حالِ أهل النّار وحالِ أهل الجنَّة، وبِعَزلِ الوجوه النّاعمة عن تلك الوجوه المُنكرة العاملة الناصبة التي تَصلى نارًا حاميةً. فلا جهة تجمعُ بينهما، ففريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السّعير. ففي عدم عطفِ جملة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ على ما قبلها إيذانٌ بكمالِ تبايُنِ مضمونَيهما[3]، ومن أسباب الفصل كذلك من جهة اللفظ هو أنَّ الكلام الأوَّل في بيان حالِ وجوه أهل النّار قد طال وانقطع فاقتضى النّظم الفصل بين الجملتيْن[4].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 30/ 133 - 135.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 297.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/ 150، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 327.
(4) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 321، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 634.

علّةُ تقديمِ حكايةِ حالِ أهلِ النّارِ:

تَقديمُ حِكايةِ حالِ أهلِ النّارِ في الآياتِ السّابقةِ على ذِكْرِ حالِ أهل الجنَّة هنا؛ لأنَّه أدخَلُ في تَهويلِ الغاشيةِ وتَفخيمِ حَديثِها، ولَمّا كان الخطاب عامًّا لجميع النّاس كانت حِكايةُ حُسنِ حالِ أهلِ الجنَّةِ بعد حِكايةِ سوءِ حالِ أهلِ النارِ ممّا يَزيدُ المَحكيَّ حُسنًا وبهجةً[1].

بلاغة التّعبير بـ(الوجوه) بين المجاز المُرسل والكناية:

يظهر أثر النّعمة في الوجوه أوّلا

يحتمل التَّعبيرُ بلفظ ﴿وُجُوهٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أن يكون على طريق المجاز المُرسَل بذِكْر الجزء وإرادة الكلِّ؛ فذَكَرَ الوجوهَ وأرادَ الذّوات. وخصَّ الوجوه بالذِّكر، لأنَّ السّرور يظهر في الوجه أوّلًا. أو أن يكون ذِكرُ الوجوه على طريق الكناية، فإنَّه يلزم من أن تكون الوجوه ناعمةً تنعّمُ الذّات كلِّها؛ وخصَّ الوجوه بالذّكر لأنَّها محلُّ ظهورِ أثر النّعمة أوّلًا.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿وُجُوهٌ﴾ وجمعها:

كثرةُ وجوهِ أهلِ الجنَّةِ دليلٌ على كثرةِ أهلِها

في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ جاء لفظ ﴿وُجُوهٌ﴾ نكرةً مُنوَّنًا بقصد التّنويع والتّكثير، فله حكم النّكرة المخصَّصة في جواز الابتداء بها. والمقصود بيان نوعٍ آخر من الوجوه بعد ذِكْر وجوه أهل النّار، وهو وجوه أهلِ الجنَّة. وجاء اللفظ بصيغة الجمع للدلالة على كثرتها. والمعنى: (وجوه كثيرة يومئذٍ ناعمة).

فائدة القيد ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مُقدّمًا:

يومُ القيامةِ محلُّ عناية؛ إذ تتمايزُ الوجوهُ ويُنالُ الجزاءُ الأوفى

في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ قُدِّم ظرفُ الزّمان ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ الدالُّ على يوم وقوع الغاشية على خبر المبتدإ ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ لتوجيه المُخاطَبين إلى الاهتمام بذلك اليوم، فهو الزّمن الذي تقع فيه أحداث الغاشية، وفي تكرير قيد ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إشعارٌ بأنَّ وجوهًا تكون ناعمةً في نفس اليوم الذي تكون فيه وجوهٌ خاشعةٌ ذليلةٌ؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/ 149 - 150.

أيْ: (إذا كان في ذلك اليوم وجوهٌ خاشعةٌ عاملةٌ ناصبةٌ، فإنَّ فيه كذلك وجوهًا ناعمةً، لسعيها راضية، في جنة عالية)؛ فالتّنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عوضٌ عن جملة بتقدير: (يومَ إذ تغشى الغاشية)، كما يحتمل أن يكون الكلامُ بتقدير: وجوهٌ يومَ إذ كان ما ذُكرَ ناعمةٌ[1]، بمعنى: وجوهٌ ناعمةٌ يومَ إذ تغشى الغاشية وتكون وجوه أهل النّار خاشعة، فيكون في ذِكْر الظّرف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ زيادة في المعنى على ما ذُكر في قولِه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾. كما أنَّ في تقديم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ على ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ إشعارًا بأنَّه ظرفٌ لجميع الصّفات المخبَر بها؛ أيْ: (في ذلك اليوم تكون ناعمةً لسعيها راضيةً في جنَّةٍ عاليةٍ). وأيضًا في تقديم الظّرف على الخبر رعاية للفاصلة ومناسبة رؤوس الآي[2].

دلالةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أُضيف لفظ (يَومَ) إلى (إذٍ) الاسميَّة الزّمانيَّة الدالَّة على المستقبل، للإشارة إلى أنَّ هذه الوجوه تكون ناعمةً في المستقبل يوم تغشى الغاشيةُ النّاسَ جميعًا.

سِرُّ التّعبيرِ بمُفرَدَة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾:

مُلازمةُ البهجةِ والسُّرورِ وحُسنِ المنظرِ لوجوهِ أهلِ الجنَّةِ

في التّعبير بمفردة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ دون غيرِها دلالةٌ على أنَّ الوجوه ذات بهجة وسرور، وأنَّها حسنة المنظر. وفيه إشارة إلى طيب عيشها وفرحها وراحتها في الجنّة، ويلزم منه أنَّها مُتنعّمةٌ. وهذا بناء على أنَّ لفظ ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ من (نَعُمَ) بضمِّ العينِ: يَنعُمُ بضمِّها الَّذي مصدرُه نُعومةٌ وهي اللّينُ وبهجةُ المَرأى وحُسن المنظرِ؛ وهو الظّاهر. ويؤيّده قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المُطفّفين: 24]. أمّا إن كان لفظ ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ من (نَعِمَ) بكسْرِ العينِ: يَنْعَمُ، إذا كانَ ذا نِعْمَةٍ، كان على

(1) البقاعيّ، نظْم الدُّرر: 22/ 8.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 230.

معنى متنعِّمة؛ أيْ: وجوهٌ حسنة العيش ومُترفة[1]؛ فالمقصود الأوّل على هذا الاشتقاق هو أنَّها مُتنعِّمة ويلزم منه أن تكون ذات بهجةٍ وسرور، فمآل المعنى على كلا الاشتقاقيْن واحدٌ.

دلالةُ اسمِ الفاعلِ المُنكَّر ﴿نَّاعِمَةٌ﴾:

لمّا كان اسم الفاعل يدلُّ على الثّبوت كان التّعبير به في الإخبار عن وجوه المؤمنين بأنَّها ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ إيذانٌ بثبوت كونها ناعمة، فلا تتغيّر نعومتها ولا تنعّمها. وفي مجيء الخبر ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ نكرةً منوَّنًا دلالةٌ على عِظمِ نعومتِها.

نكتةُ تقديمِ الإخبارِ بنعومةِ الوجوهِ:

تقديم الإخبار عن وجوه أهل الجنَّة بأنَّها ناعمة قبل الإخبار عن أنَّها في جنَّة عالية فيه إشارةٌ إلى أنَّها ناعمةٌ مسرورةٌ قبل دخولِها الجنَّة؛ فهي فرحَةٌ برضا ربّها عليها.

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿نَّاعِمَةٌ﴾:

على القول بأنَّ ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ من النّعومة، لتدلَّ المفردة على نعومة الوجه، يكون في الكلام استعارة تصريحيَّة تبعيَّة؛ إذ شبَّه وجوهَ أهل الجنَّة بوجوه قومٍ فرحين، إذا أصابوا الشراب طابت أنفسهم، فاجتمع الدَّمُ في وجوهِهم، فاجتمع فرح القلوب وفرح الشَّراب، فهو ضاحك الوجه مُبتسمٌ طيِّبُ النَّفس[2].

الفرحُ والسّرورُ يجعلُ الوجهَ ناعمًا، والذِّلُّ والحزنُ يجعلُ الوجهَ شاحبًا

دلالةُ مقابلةِ قوله: ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ لقولِه: ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾:

في التّعبير بـ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ وجوه أهل النّار شاحبةٌ كما يُؤمئ إليه لفظ ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾ فيما سبق. وفي مقابلة وجوه ناعمة لوجوه خاشعة إشارةٌ إلى أنَّ الفرح والسّرور يجعل الوجه ناعمًا وأنَّ الذلَّ والحزن يجعل الوجه شاحبًا.

(1) حقّي، روح البيان: 10/ 414، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 299.
(2) مقاتل، تفسير مقاتل: 4/ 678.

بلاغةُ الاستطرادِ والتتميمِ في الآية:

عادة القرآن أن يشفعَ التّرهيبَ بالتّرغيبِ والعكسِ

لمّا كان المقصود من الاستفهام في ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ بيانَ حالِ المعرَّض بتهديديهم، ولمّا حصل البيان بذِكْر حالِ أصحاب الوجوه الخاشعة كان مجيء جملة ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾ على طريق الاستئناف البيانيِّ استطرادًا للكلام وكانت كالتّتميم له؛ لتكون جملة ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾ وما بعدها في وصف حالِ أهل الجنّة على جهة الإطناب[1]؛ ليكون النّظم على ما هو عادة القرآن من أن يشفعَ التّرهيب بالتّرغيب وبالعكس تنشيطًا لاكتساب ما يُنجي والسّعي له وتثبيطًا لاقتراف ما يُردي[2].

معنى اللام في ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾:

المؤمنون راضون عن الله راضون عن ثوابه وما أعدَّه لهم يوم القيامة

اللام في ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ متعلّقة بـ﴿رَاضِيَةٞ﴾، والتقدير: (راضيةٌ بسعيِها). فتكون لتقوية عمل اسم الفاعل المُؤخّر عن عاملِه. وتفيد حينئذٍ تقوية المعنى والمبالغة فيه؛ أي: المبالغة في كونِها راضيةً بسعيها، بمعنى أنَّها رضيت بعملِها لِما شاهدَته مِن الثّواب العظيم. ويجوز أن تكون لامَ التعليل؛ أيْ: (لأجل سعيها في طاعة الله راضية)[3]. وعلى هذا التّوجيه للّام يكون لفظ ﴿رَاضِيَةٞ﴾ مطلقًا عن التّقييد، فيفيد العموم، والمعنى: لأجلِ سعيِها راضية عن الله وراضية عن الثّواب والجزاء، وراضية بما شاهدته من الثّمرات التي أعدَّها الله تعالى لها في الجنَّة؛ فصار الرّضا وصفًا لازمًا لها.

دلالةُ تقديمِ الجارّ والمجرورِ على ﴿رَاضِيَةٞ﴾:

سيندمُ الكافرون يومَ القيامةِ ويتحسّرون على سعيِهم بالباطلِ في الدّنيا

تقدَّم ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ على ﴿رَاضِيَةٞ﴾ للاعتناء بسعيِها؛ أيْ: للاهتمام بأنَّها لم تندم على عملِها وجهدها في الدّنيا؛ ففيه تعريضٌ بالكافرين بأنَّهم سيندمون ويتحسّرون على سعيِهم بالباطل في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 298.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 233.
(3) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 3585، والمنتجب، الكتاب الفريد: 6/ 386.

الدّنيا. كما يشير التّقديم إلى معنى التّخصيص، فكأنَّه لا سعيَ لها سوى السّعي في طاعة اللّه[1]. وفي التّقديم كذلك رعاية الفاصلة ومناسبة رؤوس الآي.

نكتةُ التّعبيرِ بمُفردةِ السّعي:

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بمُفردة السّعي في قولِه تعالى: ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾، ولم يَقُلْ مثلًا: (لعملِها)، ليكون الكلام على طريق المدحِ، لأنَّ فيه إشارةً إلى أنَّهم جاهدوا في الإتيان بما أُمروا والانتهاء عمّا نُهوا عنه حقَّ الجهاد[2]، فضلًا عن أنَّ السّعي أكثر ما يُستعمل في الأفعال المحمودة، والذي تكون عاقبته ممدوحة؛ فناسب أن يقول: ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ في إشارةٍ إلى أنَّ عاقبة سعيها كان رضاها بعملِها لِما رأت من ثوابِه.

مـن جَـدَّ وجـدَ، ومَـنْ سـار على الدرب وصل

دلالةُ صوغِ السَّعي مصدرًا:

عُبِّر بصيغة المصدر في قوله: ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾، ولم يُؤت بصيغة الفعل كأن يُقال مثلًا: (لِما كانت تسعى إليه راضية)؛ للإشعار بعفو اللّه تعالى عن أيّ سعيٍ لها في غير طاعة اللّه، ففيه امتنانٌ من اللّه تعالى، فكأنَّه لم يكن لها سعيٌ في الدّنيا سوى السّعي الذي جعلها راضية. وفي التّعبير بالمصدر كذلك إشارة إلى أنَّه لا سعيَ نافعٌ للإنسانِ في الدّنيا سوى السّعي الذي يجعله راضيًا يوم القيامة بما يشاهده من الثّواب العظيم.

لا سعيَ نافعًا لـلإنـسـانِ في الـدّنـيـا سـوى الـسّـعـي الـذي يجعله راضيًا يومَ القيامةِ

دلالةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾:

الإضافة في ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ تُفيد التّخصيص، بمعنى أنَّ لكلِّ إنسان سعيَه الذي يُجازَى عليه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١﴾ [النّجم: 39 - 41].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 8.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 234.

دلالةُ عودِ الضّميرِ في قولِه: ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾:

أعظمُ أثرٍ للجزاءِ في وجوهِ العاملِ المجزيّ

يعود الضّمير في ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ إلى الوجوه؛ ولمّا كان السَّعيُ يوصف به الإنسان، كان الضّمير في ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ على معنى (لسعي أصحاب الوجوه، أو أنفسِها)؛ فيكون ذِكْرُ الضّمير على طريق المجاز المُرسَل بذِكْر الجزء الأهمِّ وإرادة الكلِّ أو على طريق الكناية. ومناسبة عود ضمير السّعي إلى الوجوه اتّساق الأخبار في النّظم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ أعظم أثر من آثار الجزاء على السعي وأخصَّه يكون في الوجوه بما تنعم به من الجزاء.

دلالةُ التّعبيرِ بقولِه: ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾:

جـزاءُ الاجتهادِ والسَّـعـي المُخلِصِ عاقبةٌ محمودةٌ

يحتمل أن يكون المُراد بقوله: ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ أنَّهم رضوا عن نفس السّعي والجهد الذي بذلوه في الدّنيا أيْ إنَّهم رضوا عن سعيهم واجتهادِهم في العمل لله تعالى لَمَّا رأوا ما أدّاهم إليه سعيهم من الكرامة والثواب. فيكون كالرَّجل يعمل العمل فيُجزى عليه بالجَميل، ويظهر له منه عاقبة محمودة، فيقول: ما أحسنَ ما عملتُ، ولقد وُفّقت للصّواب فيما سعيت، فيثني على عملِ نفسِه ويرضاه[1]. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ كناية عن أنه محمود العاقبة مجازى عليه أعظم الجزاء وأحسنه[2]. ويحتمل كذلك أن يكون المراد من رضاهم عن سعيِهم رضاهم عن ثواب سعيِهم فيكون من قبيل حذف المُضاف على سبيل المجاز؛ أيْ: لثواب سعيِها في الدّنيا راضية؛ إذ شاهدوا ذلك الثّواب العظيم في الجنَّة يبلغ حدَّ الرّضا حتَّى لا يريدون أكثر منه[3]. ولا مانع من حمل اللفظ على المعنيَيْن فيكون من قبيل حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز بالاشتراك.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 141.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 327.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 141.

دلالةُ اسمِ الفاعلِ المُنَكَّر ﴿رَاضِيَةٌ﴾:

رضـاً تـامٌّ دائـمٌ صـافٍ لعظيمِ الثَّوابِ وجميلِ المآلِ

دلَّ التّعبير بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿رَاضِيَةٌ﴾ على ثبوت رضاهم وعلى أنَّهم بما رأوا ما أدّاهم إليه سعيهم من الكرامة أو بما رأوه من الثَّواب قد بلغوا حدَّ الرّضا حتَّى لا يريدوا أكثر منه[1]. ويلزم من رضاهم بسعيهم أن يكونوا حامدين عملهم الذي هو امتثال ما أمر الله به على لسان رسوله ﷺ[2]؛ فالرّضا على معناه الحقيقيِّ، ويلزم من رضاهم حمدهم عملَهم والثّناء عليه.

معنى ﴿فِي﴾:

يُفيد حرف الجرِّ ﴿فِي﴾ من قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ الظّرفيَّة، بمعنى احتواء الجنَّة لهذه الوجوه النّاعمة، وأصحابها مُتنعِّمون مُترفون بما فيها من نعيمٍ مُقيمٍ.

نكتةُ تنكيرِ ﴿جَنَّةٍ﴾:

جاء لفظ ﴿جَنَّةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ نكرةً مُنوَّنًا لتعظيم الجنَّة وفخامتِها، وهو المناسب لوصفِها بالعالية من جهة، ومكافأة أهلها وتشريفهم من جهة أخرى.

سِرُّ وصفِ ﴿جَنَّةٍ﴾ بـ﴿عَالِيَةٍ﴾:

أحسنُ الجنّاتِ مـا كـان في المرتفعاتِ

وُصفت الجنَّة بقوله: ﴿عَالِيَةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ لزيادة الحُسنِ؛ لأنَّ علوَّ المكانِ الجميل أكثرُ بهجةً للنّفوس؛ وأحسنُ الجنّات ما كان في المرتفعات؛ قال تعالَى في سياق حسن الجِنان عند الإنسان: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البَقَرَة: 265]؛ فذلك يُزيدُ حُسْنَ باطنِها بحُسنِ ما يُشاهِدُه الكائنُ فيها من مناظرَ، ووصفُ الجنَّة بالعلوِّ وصفٌ شاملٌ لحسنِ موقعِها. كما أنَّ الوصف بكون الجنَّة عاليةً مناسبٌ لاقترانِه بلفظ ﴿لِّسَعْيِهَا﴾؛ فالوصول إلى مكانٍ عالٍ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 141.

(2) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 321، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 299.

يحتاج إلى سعيٍ وجهدٍ، فلفظ السّعي جاء تمهيدًا لذِكْر مقامِهم في جنَّة عالية، وهذا من الأسباب التي أوثر فيها لفظ السّعي على العمل، بمعنى أنَّ السّعي والجهد المبذول هو الذي أوصلهم إلى الجنَّة العالية بفضلِه ومِنَّته سبحانه.

دلالةُ صيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ: ﴿عَالِيَةٍ﴾:

أفاد التّعبير بصيغة اسم الفاعل في وصف الجنَّة بـ﴿عَالِيَةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أنَّ عُلوَّها ثابتٌ لا يتغيّر، ويلزم منه ثبات عُلوِّ سكّانِها، ورفعةِ شأنِهم، فرفعة المكان بعلوِّ شأنِ المَكين وتقديرِه.

دلالةُ قولِهِ تعالى: ﴿عَالِيَةٍ﴾:

عُبِّر بقوله: ﴿عَالِيَةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ للإشعار بعلوِّها الحسّي والمعنويّ، فهي مرتفعةٌ في محلِّها ومكانِها مع علوِّ قدرِها ومكانتِها لتكاملِ ما فيها من النّعيم[1]، ففيه بيانٌ لرفعة الجنَّة مع عظيم الامتنان فيها على أهلِها؛ أيْ: هي في المكان العالي والمكانة العالية. وهو ما أشار إليه ابن عطيَّة[2] وذهب إليه جماعة من المُفسِّرين كأبي حيّان وغيرِه[3]. فيكون من قبيل حمل اللفظ بالاشتراك على المَعنيَيْن على معناه المُشترك.

الجنَّة مرتفعةٌ في محلِّها مع علوِّ قدرِها ومكانتِها لتكاملِ ما فيها من النّعيمِ

معنى ﴿لَّا﴾:

لمّا كانت ﴿لَّا﴾ النّافية تفيد استمرار النّفي لِقرينة المقام؛ أفاد النّفي في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ استمرارَ نفي سماع اللّاغية في الجنَّة.

سرُّ نفي سماعِ اللّغوِ على نفي أصلِ اللّغوِ:

قد يُقال إنَّ قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ لمّا أفاد نفيَ سماع

لا سماعَ للاغيةٍ في الجنَّةِ، ولا لغوَ فيها أصلًا

(1) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 321.
(2) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 473.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 463، والسّيوطيّ والمحلّيّ، تفسير الجلالَيْن، ص: 805، والبقاعي، نظم الدُّرر: 22/ 9.

اللّاغية في الجنَّة دلَّ لزومًا على أنَّ اللغو موجود فيها، ولكنَّ أهلَها لا يسمعونه، ولو قيل: (لا لاغيَة فيها)، لَنَفى أصلَ اللّغو، فوجودُ أصلِ اللّغو مُنافٍ لأوصاف الجنَّة وكمالاتِها، فما هو سرُّ العدول إلى نفي سماعِ اللّغو دون نفي أصلِ اللّغو؟ والجوابُ أنَّ القرآن المجيد جعلَ لكلِّ مقامٍ نظمَه المناسب له، وبيانُه أنَّه لمّا كان الكلام في آية الغاشية في حالِ أهلِ الجنَّة وما يكون عليه سكّانها من النّعيم؛ كان الأقضى لحقِّ البلاغة أن ينفي سماعَهم للّاغية؛ لأنَّ نفي سماع اللّغو من النّعيم الحسّي والنّفسي. ومثله في بيان حالِ سكّانها وما ينعمون به ما جاء في نفي سماعِهم اللّغو قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ [مريم: 61 - 62]، وقوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥﴾ [الواقعة: 25]. فليس سياق الكلام في سورة الغاشية في بيان أوصاف الجنَّة؛ بل في سياق ما يكون عليه حالُ أهلِ الوجوه النّاعمة المتنعّمة من النّعيم، ولا يكون هذا إلّا بنفي سماعِهم للّاغية؛ أيْ: لا تسمع الوجوه النّاعمة لاغية، فأفادَ قوله: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ نفيَ سماعِهم للّغو ونفيَ أن يكون فيها أحدٌ يتكلَّم باللّغو؛ لأنَّ أصلَ اللّغو مُنتفٍ فيها. فنفي سماعِ لاغيةٍ مُكنًّى به عن انتفاء اللّغو في الجنَّة، وهو من باب قولهم: (ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ)؛ أيْ: لا ضَبَّ بها ولا انجحار؛ إذِ الضَبُّ لا يخلو من الانجحار[1].

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ ﴿تَسۡمَعُ﴾:

تشريفُ المؤمنين في الجنَّةِ من تشريفِ رسولِ الله ﷺ

تحتمل صيغة ﴿تَسۡمَعُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ أن تكون للمخاطَب؛ أيْ: مَن يصلح للخطاب؛ والفاعل مُستترٌ تقديره: أنت[2]. وفائدة مجيء المفردة بصيغة الخطاب الإشعار بأنَّ كلَّ مَن

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 98، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 300.

(2) المُنتَجب، الكتاب الفريد: 6/ 386، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 307، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 234.

يتأتَّى له السّماع ممّن يدخلون الجنَّة لا يسمع فيها لاغية، والمعنى: لا تسمع أيُّها الوجه النّاعم الدّاخل في الجنَّة لاغية[1]. فالخطاب على معنى العموم. ويجوز أن يصرف الخطاب إلى رسول الله ﷺ[2] ويدخل فيه عموم أهل الجنَّة فيه، فيكون الخطاب على معنى أنَّ تشريفَهم في الجنَّة من تشريفِه ﷺ. ويحتمل أيضًا أن تكون صيغة ﴿تَسْمَعُ﴾ للغائب المؤنَّث، فيعود الضّمير في ﴿تَسْمَعُ﴾ إلى ﴿وُجُوهٌ﴾[3]، بما اتّصفت به من كونها ناعمةً لسعيها راضية في جنَّة عالية. والتّقدير: (لا تسمع الوجوهُ فيها لاغيةً)؛ أيْ: أصحابُ الوجوه؛ فيكون إسناد الفعل إلى الوجوه على سبيل المجاز؛ لأنَّ السّامع أصحابُها.

توجيهُ القراءةِ القرآنيّةِ في ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾:

تنوُّعُ القراءاتِ تكثيرٌ للمعنى وتوسيعٌ له

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿لَّا يُسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةٌ﴾ ببناء الفعل للمفعول، وقرأ نافع ﴿لَّا تُسْمَعُ﴾ بالتاء. وقرأ عاصِمٌ وحَمْزَةُ والكِسائيُّ: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ ببناء الفعل للفاعل[4]، وتوجيه القراءات هو أنَّ بناء الفعل للمفعول حسن؛ لأنَّ الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه، لكنَّه على قراءة ﴿لَّا يُسْمَعُ﴾ جاء الفعل بصيغة المُذكَّر؛ لأنَّ المؤنَّث مَجازيٌّ مع وجود الفاصل من الجارِّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ بين الفعل والفاعل. أو يُقال إنَّ تاء ﴿لَغِيَةً﴾ للمبالغة وليست للتأنيث كما ذهب إليه أبو حيّان[5]. وعلى قراءة ﴿تَسْمَعُ﴾ يكون الفعل إمّا بصيغة الخطاب، وإمّا بصيغة أن يكون فاعله ضميرًا مؤنَّثًا تقديره: هي، ليعود إلى الوجوه.

دلالةُ عودِ الضّميرِ في قولِهِ: ﴿فِيهَا﴾:

اللّغوُ مُنافٍ للجَنَّةِ وعُلوِّها

يعود الضّمير في ﴿فِيهَا﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾

(1) السمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 574، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 9.
(2) الواحديّ، التفسير البسيط: 23/ 468، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 463.
(3) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 474، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 307.
(4) الأزهريّ، معاني القراءات: 3/ 140، وابن الجزريّ، النّشر: 2/ 400.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 30.

إلى ﴿جَنَّةٍ﴾ بما اتّصفت به من كونها ﴿عَالِيَةٍ﴾؛ ففي عود الضّمير إشارةٌ إلى أنَّ اللّغو مُنافٍ للجنَّة وعلوّها، فالمنازلُ العالية الشّريفة تكون مبرَّأةً من اللّغو. وفيه إيماءٌ كذلك إلى أنَّ اللّغو لا يكون إلّا لِمَن سفُل في المكانة وفي الموضعِ.

فائدةُ تقديمِ ﴿فِيهَا﴾ على المفعولِ به:

تنزُّهُ الجنّةِ عن كلِّ ما يُكدِّرُ صفوها

تقدَّم الجارُّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ على المفعول به - على قراءة جماعةٍ - أو على نائب الفاعل- على قراءة آخرين كما تقدَّم في توجيه القراءة القرآنية- للاهتمام بموضع الجنَّة، والإشعار بخصوصيَّتها، وأنَّها ليست مثل الدّنيا التي يُسمع فيها اللّغو وما يكدّر الخواطر ويحزن القلوب ويجعل الوجوه شاحبة.

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ ﴿لَغِيَةً﴾ بين المصدريَّةِ واسمِ الفاعلِ:

الجنةُ مكانٌ هادئ مُطمئنٌ لا لاغية فيه

تحتمل كلمة ﴿لَغِيَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ أن تكون مصدرًا كـ(العاقبة)، والمعنى: (لا تسمع فيها لغوًا)، كما تحتمل أن تكون اسم فاعل من: لغا يلغو، فتكون على النّسب مثل كلمة (لابن)؛ أيْ: ذات لبنٍ. فمعنى ﴿لَغِيَةً﴾: ذاتُ لغوٍ. وحينئذٍ تكون ﴿لَغِيَةً﴾ صفةً لموصوف محذوف، والتّقدير، إمّا: (لا تسمع فيها كلمةً لاغية)؛ أيْ: ذات لغوٍ[1]، فيكون اللّفظ على المجاز العقليّ؛ لأنَّ اللّاغي صاحبُها[2]، فيكون المقصود أوَّلًا وبالذّات نفي سماع كلمةٍ لاغية، ويلزم منه على المجاز وجود أيِّ نفسٍ تلغو في الجنَّة. وإمّا أن يكون التّقدير: (لا تسمع فيها نفْسًا لاغية)؛ أيْ: نفْسًا ذات لغوٍ، فيكون المقصود أوَّلًا وبالذّات نفي وجود أيِّ نفسٍ تلغو أو أيُّ فئةٍ أو

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 234، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 234.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 299.

جماعة تلغو وتنطق بسوءٍ[1]، ويلزم منه نفي اللّاغية فيها. والمعنى على العموم: لا تسمع في الجنَّة كلمةً ولا فئةً ولا نفسًا لاغية.

دلالة مفردة ﴿لَغِيَةَ﴾ وتنكيرها:

كـــلامُ أهْـــلُ الجنَّةِ الحكمةُ ومحاسنُ القولِ وحمدُ الله على نعيمه الدّائم

اللّاغية هي كلُّ ما يعدُّ لغوًا، فدلَّ التّعبير بمفردة ﴿لَغِيَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ على أنَّها لا تسمع فيها كَذِبًا وبُهْتانًا وكُفْرًا بالله ﷻ ولا باطلًا ولا شتمًا. ولا يُسمَع فيها حالف يحلف بكذب، ولا حالف بيمينٍ برّة ولا فاجرة. والخلاصة أنَّهم لا يُسمَع في كلامِهم كلمةٌ لغوٌ؛ لِأنَّ أهْلَ الجنَّةِ لا يَتكلَّمون إلّا بالحكمةِ ومحاسنِ القولِ وحمدِ الله على ما رزقهم من النَّعيم الدّائم[2]. وأفاد مجيء مفردة ﴿لَغِيَةَ﴾ نكرةً في سياق النّفي في قوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ نفيَ وجود أيِّ لاغيةٍ في الجنَّة، وإن كان لغوًا قليلًا؛ لأنَّ النّكرة في سياق النّفي تفيد العموم.

دلالة نفي سماع اللّغو على نفي كلِّ ما يؤذي:

لمّا قال الله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ فنفى عن أهل الجنَّة سماع اللّغو اندرج فيه ما يُؤْذي سامعَهُ على طريق الأولى[3].

بلاغةُ الكنايةِ في نفي سماعِ اللاغيةِ:

في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ كنايةٌ على شرف المحلِّ والحالِّ. بمعنى أنَّ مجالسهم شريفة، فأهل الجنة مُنزَّهون عن اللَّغو؛ لأنَّها منزلُ جيران الله، وهكذا كلُّ مجلسٍ في الدنيا شريفٍ مُكرَّمٍ يكون منزَّهًا عن اللَّغو[4].

(1) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 473.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 5/ 318، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 30/ 33، وابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 20/ 298.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 142.

(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 408، وابن التّمجيد، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 235.

بلاغةُ الفصلِ في جملةِ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾:

اخـتـلافُ نـوعِ الـجـمـلـتـيْن واخـتـلافُ مقاصِدِهما

لم تُعطفْ جملة ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ على الجملة الَّتي قبلها؛ لاختلافهما بالفعليَّةِ في الأولى والاسْميَّةِ في الثّانيةِ، وذلك الاختلافُ من مُحسِّناتِ الفصلِ، ولأنَّ جملة: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ مقصودٌ منها التَّنزُّه عن النَّقائص، وجملة: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ مقصودٌ منها إثباتُ بعض محاسنها[1]. فاختلاف المعاني بين سلب القبيح عنها وإثبات الحسن فيها يقتضي الفصل بين المعنيين. وأيضًا في قوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ وصفٌ لحالِ أهل الجنَّة وما يتنعّمون فيه وفي قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وصفٌ للجنَّة وما فيها.

فائدةُ تقديمِ المُسنَدِ على المُسنَدِ إليه: ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾:

عينُ الجنَّةِ التي يـشـربُ منـها المؤمنون ليست كـسـائـرِ عـيـونِ الدُّنيا

قُدِّم المُسنَدُ على المُسنَدِ إليه في قولِه: ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ للعناية والاهتمام بالعين، ففي التّقديم إشارةٌ إلى شرفِ العين وعِظَمِها. وفي التّقديم أيضًا تخصيصٌ، بمعنى أنَّ عين الجنَّة ليست كسائر العيون المعهودة، ففي الجنَّة فقط مثل هذه العين الجارية في فخامتِها وكثرتِها وعذوبة شرابِها؛ وما سواها ليس كذلك.

نكتةُ تنكيرِ ﴿عَيْنٌ﴾:

مهما تـعـدَّدت عـيـنُ الـجـنَّـةِ وكـثُـرت فـهـي جاريةٌ نافعةٌ

لمّا جاء لفظ ﴿عَيْنٌ﴾ نكرةً في قولِه: ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ في سياق الامتنان أفاد العموم والكثرة، والمعنى: (فيها عيون في غاية الكثرة)[2]. ويحتمل أن يكون لفظ ﴿عَيْنٌ﴾ على إرادة الجنس، فالمُراد جنس العيون. وفائدة مجيء اللفظ بصيغة اسم الجنس هو أنَّه لمّا كان الماء الجاري صالحاً لأن يُقسَّم إلى أماكن كثيرة، وحَّد اللفظَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 301.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 744.

المراد به الجنس الشامل للكثير[1]، فيفيد الكثرة لزومًا. والمعنى: كلُّ عينٍ في الجنَّة - من العيون التي هي كثيرة - جارية.

سِرُّ وصفِ العينِ بـ﴿جَارِيَةٌ﴾ وصوغه اسمَ فاعلٍ:

عـيـنُ الـجـنَّـة مُـتـدفِّـقـةٌ بـالـشّـرابِ لا تنقطعُ أبدًا

وصفُ العين بقوله: ﴿جَارِيَةٌ﴾ في قولِه: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ إشارةٌ إلى نعومة الحياة في الجنَّة وبهجتِها، بخلاف العين المنقطعة عن الجري؛ وللإشعار بأنَّها متدفِّقة بالشّراب على وجه أرض الجنَّة من غير أخدود[2]؛ فهي عظيمة الجري جدًّا، بحيث لا تنقطع أصلاً لما لأرضها من الزكاء والكرم، وما لمائها من الغزارة وطيب العنصر؛ فهو صالح لأن يعمَّ جميع نواحيها أقاصيها وأدانيها وإن عظم اتِّساعُها وتناءَتْ أقطارُها وبقاعُها[3]. وجاءت المُفردة ﴿جَارِيَةٌ﴾ بصيغة اسم الفاعل للدلالة على ثبوت اتّصاف هذه العين بالجريان؛ أيْ: ثبوتِ جريِها وعدمِ انقطاعِها وتجدُّد هذا الجريان.

سِرُّ تكرارِ القيدِ ﴿فِيهَا﴾ وعودِ الضّميرِ فيه:

وصفُ محاسنِ الـجـنَّـة بـذِكْـرِ مـحـاسـنِ قصورِها

أُعيدَ قوله: ﴿فِيهَا﴾ من قولِه تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ على سبيل الفصل بين الجمل دونَ أنْ يُقال: (فيها عين جارية وسرر مرفوعة)، فيكون العطفُ حينئذٍ من قبيل عطف المُفردات؛ لأنَّ عطفَ السُّرُرِ على عينٍ يبدو نابيًا من الذّوقِ لعدم الجامع بين عين الماء والسُّرُرِ في الذِّهن، لولا أنْ جَمَعَها الكونُ في الجنَّة؛ فلذلك كُرِّرَ ظَرْفُ ﴿فِيهَا﴾ تَصْريحًا بأنَّ الجامع بينهما إنّما هي ظرفيّتهما في الجنَّة، ولأنَّ بين ظرفيَّةِ العينِ الجاريةِ في الجنَّةِ وبين ظرفيَّةِ السُّرُرِ وما عُطِفَ عليه من متاعِ القُصورِ والأثاث تفاوُتًا؛ فجاء الكلام على طريق الفصل - بإعادة ضمير ﴿فِيهَا﴾ - لوصفِ محاسنِ الجنَّة بمحاسن أثاث قصورِها[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 10.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 33.
(3) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 22/ 10.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 301.

وضميرُ ﴿فِيهَا﴾ عائدٌ للجنَّةِ، والمُراد: (في القصور التي في الجنَّة)؛ وإنّما جُعل الظّرفيّة في الجنَّة؛ لأنَّ ما في قُصورها هو مَظْروفٌ فيها بواسطةٍ[1]؛ ليكون استكمالًا لذِكْرِ محاسنِ الجنَّةِ.

نُكتةُ تنكيرِ ﴿سُرُرٌ﴾ وجَمْعُه جَمعَ كثرةٍ:

عُبِّر بصيغة جمع الكثرة في قوله: ﴿سُرُرٌ﴾ للإشعار بكثرة السُّرر وفخامتِها، والنّكرة في سياق الامتنان تفيد الكثرة. والسّرير هو ما يُجلَس عليه ويضطجع عليه فيسع الإنسانَ المُضطجِعَ، ويكون مرتفعًا عن الأرض[2].

سِرُّ وصفِ السُّرر بـ ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾:

لَمّا كانَ الارْتِفاعُ عن الأرضِ مَأْخوذًا في مَفهومِ السُّرُرِ كانَ وصْفُها بـ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ لتصوير حُسْنِها[3]، وليرى الجالس عليها جميع ملكه وما نُعِّمَ به وما شاء اللّه من غيره[4].

عِلّة العدول عن تكرار القيد (فيها) والاكتفاء بالعطف بالواو:

لا مشابهةَ بين ما يألفه النّاس وما في الجنَّة من النّعيم إلّا في الاسم

عُدل عن تكرار الجارّ والمجرور (فيها) في قوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وعطفت الأكواب والنّمارق والزّرابيُّ عطْفَ المُفردات بالواو؛ لأنَّها مُتماثِلةٌ في أنَّها من مَتاعِ المساكنِ الفائقةِ والقصور العالية، والجامع بين المعطوفات خياليٌّ[5]، فجمع ما هو مألوفٌ في العرفِ والعادةِ في أن يكون في القصور الفخمة الرّاقية. فقد خاطَبَ اللّه تعالى النّاس بما يعقلون ويألفون في الحياة، فذَكَرَ لهم المحاسن التي يطمعون بها في الجنَّة،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 302.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 302.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 302.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 11.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 236.

اللفظ واحد والمعنى أفخم وأعظم، فلا مشابهةَ بين ما يألفه النّاس وما في الجنَّة من النّعيم إلّا في الاسم.

دلالةُ التّعبيرِ بمُفرَدَةِ (أكواب) وتنكيرِها:

الكوب هو إناء مستدير لا عروة له، فعبّر بقوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ للإشارة إلى أنَّها صالحة للمناولة والشّرب منها من كلِّ جهة؛ وتنكير اللفظ في سياق الامتنان والتّكريم يفيد التكثير، بمعنى أنَّ فيها أكوابًا كثيرةً متنوعةً بتعدّد أشربة الجنّة وتنوّع أطعمتها.

سرُّ وصفِ الأكوابِ بـ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾:

وُصفت الأكواب بأنَّها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾، للإشعار بأنَّها مُعدَّةٌ لأهلها، كالرَّجل يلتمسُ من الرَّجل شيئًا فيقول: هو هاهنا موضوع؛ أيْ: مُعَدّ. فلا يتكلَّفون في تناولِها. كما يُشعر اللفظ بأنَّها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة، كلَّما أرادوا الشُّرب وجدوها ملأى من الشَّراب، بحيث يسهل عليهم تناولها؛ إكرامًا لهم. فالمقصود أنَّ الأكوابَ متاحةٌ دائمًا[1]، فهي لا تُرفَعُ من بين أيديهم كما تُرفَع آنية الشّربِ في الدّنيا إذا بلغ الشّاربون حدَّ الاستطاعة من تناول الخمرِ. وكُنّيَ بـ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ عن عدم انقطاع لذّةِ الشّرب طعمًا ونشوةً؛ أيْ: موضوعة بما فيها من أشربةٍ[2].

أكوابُ الجنَّة مُعدَّةٌ حاضرةٌ دائمًا ولذَّة الشّربِ منها لا تنقطعُ طعمًا ونشوةً

توجيهُ المُتشابهِ اللَّفظيّ:

قد يُقال: وصفُ الأكوابِ بأنَّها موضوعةٌ في قوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ يدلُّ على أنَّها مُعدَّةٌ مُهيَّأةٌ لهم في حين جاء في موضعٍ آخر من القرآن أنَّ الوِلْدانَ المُخلَّدين هم الذين يطوفون على أهل الجنَّة بالأكواب؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

أهلُ الجنَّة يتناولون الشّرابَ بعدَّةِ سبلٍ؛ فهمْ في غايةِ التَّكريمِ

(1) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير، ص: 323، والزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 731، والبقاعيّ، نظمُ الدُّرر: 22/ 12.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 302.

﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ [الواقعة: 17 - 18]، فما هو وجه الجمع بين الآيتَيْن؟ والجواب هو أنَّه لا تنافٍ بين الأمريْن، فأهلُ الجنَّة يتناولون الشّراب بين الأكواب الموضوعة وبين ما يقدّمه الوِلْدانُ لهم، فهم في غاية التّكريم، فالأكواب الموضوعة تكون في وقتٍ وفي وقت آخر يشربون ممّا يُقدِّمه الولدان المُخلَّدون. أو يُقال إنَّ الأكواب الموضوعة تكون لبعضِ أهل الجنَّة والشّرب ممّا يُقدّمه الولدان المُخلَّدون يكون لبعضٍ آخر وهم السّابقون المُقرَّبون كما جاء وصفُهُم في سياق آيتي الواقعة[1].

بلاغةُ الكنايةِ في لفظِ ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾:

التّعبير بمفردة ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ صفةً للأكوابِ فيه كنايةٌ عن عدم انقطاع لذّةِ الشّرب طعمًا ونشوةً؛ أيْ: موضوعة بما فيها من أشربة[2]. ففي الوصف تقريرٌ لتكريم أهل الجنَّة وتشريفِهم.

نكتةُ تنكيرِ (نَمارِقُ) وجمعُهُ:

النمارقُ جَمْعُ نُمْرُقَةٍ، وهي الوسادة الَّتي يَتَّكِئُ عليها الجالِسُ والمُضْطجعُ، ولمّا جاء اللفظ نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾، وجاء بصيغة منتهى الجموع وفي سياق الامتنان والتّكريم؛ أفاد أنَّها في غاية الكثرة والتنوّع بتعدّد أماكن الاتّكاء.

سِرُّ وصفِ النّمارقِ بـ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾

وُصفَت النّمارق بأنَّها ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أيْ: موضوعةٌ بعضُها بجنب بعضٍ صفًّا. فهي كالشَّيء يُجعَل صفًّا، فالصَّفُّ ليس للكلِّ بل للبعضِ إلى بعضٍ؛ للإشارة إلى

أينما أراد أهلُ الجنَّةِ الجلوسَ وجدوا النّمارقَ للاتّكاءِ عليها

(1) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 236.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 302.

أنَّ الانتفاع من النّمارق إنّما يكون بالصَّفِّ[1]. وفي الوصف إشارةٌ إلى جمالِها وحسنِ ترتيبِها، فأينما أراد الجالس أن يجلس؛ وجدها ليتّكئَ عليها[2].

نكتةُ تنكيرِ (زَرابيُّ) وجمعِهِ:

نفاسةُ الفرشِ في الجنّةِ من دلائلِ التَّنعُّمِ

الزرابيُّ جمع زربية، وهي: البِساطُ الفاخر المَنْسوجُ من الصّوفِ المُلوَّن النّاعم يُفرَشُ في الأرض للزّينة والجلوس عليه لأهل التَّرف واليَسارِ، وجمعُها في قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ دليلُ كثرتها، وتنكيرُها دليلُ فخامتها ونفاستها وكونِها وفيرةً عديدةً يناسب مقام التَّنعّم الذي يحيى فيه أهل الجنّة.

نكتةُ وصفِ الزَّرابيِّ بـ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾:

تمتُّعُ أهلِ الجنّةِ بانتشارِ الفُرُشِ وبَسطِها

في وصف الزّرابيِّ بالمبثوثة في قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ إشارةٌ إلى أنَّها مبسوطةٌ مُنتشرةٌ على الأرض بكثرةٍ، أو مُفرَّقةٌ في المجالس. وتقييد الزّرابيِّ بوصفِ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾؛ لأنَّ التمتُّع بها إنَّما يكون في انتشارِها وبسطِها وذلك كناية عن الكثرة[3]؛ كما أنّ الانتفاع بالنَّمارق إنَّما هوَ بالصفّ؛ أيْ: بالوضع بعضها إلى جنب بعضٍ.

براعةُ مقابلةِ حالِ أهلِ النّارِ بحالِ أهلِ الجنَّةِ:

براعةُ النّظمِ القرآني في مقابلة حالِ أهل النّار بحالِ أهل الجنَّة

قوبِلَتْ صفاتُ وُجوه أهلِ النّارِ بصفاتِ وُجوهِ أهلِ الجنَّة؛ فقوبلت صفات ﴿خَٰشِعَةٌ﴾، ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ بصفات ﴿نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾، وقوبِل قولُه: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ بقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾. وقوبِل: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ بقوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، وقوبل شقاءُ عَيْشِ أهلِ النّار الَّذي أفاده قولُه: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 236.
(2) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 324، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 302.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 143، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 303.

ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ بمقاعد أهلِ الجنَّة المُشْعِرةِ بترَف العيش من شرابٍ ومتاعٍ.

وهذا وعْدٌ للمُؤمنين بأنَّ لهم في الجنَّة ما يعرفونَ من النعيم في الدُّنيا، وقد علموا أنَّ تَرَفَ الجنَّة لا يبلُغه الوصفُ بالكلام؛ وجُمِع ذلك بوجه الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزُّخرف: 71]، وإنّما عبّر عمّا في الجنَّة بما هو مألوفٌ معناه عند المُخاطَبين؛ لأنَّ الأرواح تَرتاحُ بمألوفاتها فتعطاها فيكون نعيمَ أرواحِ النّاس في كلِّ عصرٍ ومن كلِّ مِصْرٍ في الدَّرجة القُصوى ممّا ألِفوه ولا سيَّما ما هو مألوفٌ لجميع أهل الحضارةِ والتَّرَف وكانوا يتمنَّونه في الدُّنيا ثمَّ يُزادون من النعيم «ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قلب بشر»[1].

دلالة مجيء الصّفات بصيغة اسم المفعول:

أهـل الجنَّـة مكرّمون، أعدّت لهم مواضع التنعّم قبل دخولهم

جاءت مُفرَدَة ﴿مَّرۡفُوعَةٞ﴾ بصيغة المبنيِّ للمفعول للإشارة إلى أنَّ مُعِدًّا أعدَّ السُّرر لهم وأنَّ رافعًا رفعَها؛ ففيه امتنانٌ عظيمٌ. وفيه إيماءٌ كذلك إلى العناية بأهل الجنَّة وأنَّهم يدخلونها، وقد رتّبت لهم القصور وغيرها كما يرتَّب المكان الرّفيع للضّيف الشّريف؛ ففيه مزيد تكريم. والتّعبير بصيغة المبنيِّ للمفعول في ﴿مَّوۡضُوعَةٞ﴾ للإشارة إلى أنَّها وُضعَت بين أيديهم إكرامًا لهم ليسهل تناولها من غير تكلّف منهم؛ ومثله التّعبير بـ﴿مَصۡفُوفَةٞ﴾ و﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾، ففي مجيء الأوصاف بصيغة المبنيّ للمفعول إشارةٌ إلى تكريم أهل الجنَّة، فمواضع التَّمتُّع والرّاحة قد أعدّت لهم قَبل دخولِها تكريمًا وتشريفًا لهم؛ وهذا ممّا يُكرَّم به الملوك والأمراء إذا دخلوا القصور في الدّنيا.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 303.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللَّغو واللَّغط الهَذَر:

يُطلَق اللّغو على الكلام المُفهِم الذي لا فائدة فيه ولا نفع. واللَّغطُ أصواتٌ مبهمةٌ مختلفة مختلطة لا تُفهَمُ، أو هو الكَلام الَّذي لا يَبين[1]، ويكون اللَّغطُ مع ارتفاعِ صوتٍ وجلبةٍ لفتنةٍ أو غيرِها[2]؛ وأمّا الهَذَرُ فهو الاسقاطُ في الكلام ولا يكون الكلام هذرًا حتى يكون فيه سَقَطٌ قلَّ أو كثر[3]، أو هو الكلام الذي كَثُرَ فيه الخطأُ والباطلُ[4].

ليس في الجنَّةِ أيُّ كلامٍ فاحشٍ أو مُنكَرٍ أو كَذِبٍ أو باطلٍ من سبٍّ أو شتمٍ

الزَّرابيّ والبُسُط:

الزّرابيّ جمع زربية وهي الطّنافس العريضة الفاخرة التي بها ألوانٌ وخملٌ رقيقٌ[5]. فالزّرابيُّ نوعٌ من السِّجّاد فاخرٌ فيه فخامةٌ وجمالٌ؛ ففيه إشارةٌ إلى ترف أهل الجنَّة ورفاهيَّتِهم بفخامة ما في قصورِهم. وأمّا لفظ البسط فهو جمع بساط، ويُقصد به كلُّ ما يُبسَط على الأرض فليس في لفظ البسط إشارة إلى الفخامة والجمال.

الزَّرابيُّ يدلُّ على الرفاهيَّةِ والفخامةِ، وأمّا البُسُط فلا تُشيرُ إلى الفخامةِ

البثّ والنَّشْر:

البثَّ يدلُّ على تفريق أشياء كثيرة بحيث تكون ظاهرةً[6]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: 1]؛ أيْ: فرّقهم في الأرضِ وكثّرهم، ومن دلالة البثِّ على الظّهور قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ [يوسف: 86] التي تدلُّ على إظهار الحزن. فلفظ البثِّ يدلُّ

البثُّ يُشعرُ بتفرُّق الزّرابيّ وكثرتها وسعة عطاءِ الله تعالى

(1) ابن سيدَه، المُحكَم: (لغط).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (لغط).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 56.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (هذر).
(5) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 474، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 34، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 635.
(6) الراغب، المُفردات: (بثَّ).

على تفريق الشَّيْءِ وإظهاره[1]. وإذا بُسِطَ المَتاعُ بنَواحي البَيْتِ والدّارِ مرتّبًا فهو مَبْثوثٌ. وأمّا النّشر فهو يدلُّ على بسطِ الشّيء، ومنه نشر الثّوب؛ أيْ: بسطه وتشعّبه[2]. ويدلُّ النّشر أيضًا على فتح الشّيء وتشعّبه على جهة بسطِه[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بثَّ).
(2) الراغب، المُفردات: (نشر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نشر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"